

فى الواحة مع د. رءوف عباس:

## مشروع الشرق أوسطية عمره نصف قرن

الخميس، 4 إبريل 1996

حوار: عماد الغزالى

مازالء إسرائيل هى الشوكة الءى فى جنوبنا والغصة الءى فى حلوقنا لم ءفلح المعاهداء - ولن ءفلح - فى إقامة علاقاء جوار طبيعىة مع هذا الجار الءى يمءىءاً بالسلام ويخفى فى الأخرى نصلاً حاداً يسنه كل يوم إستعداداً للإءقضاء على الذبىحة، وهل لم ىنقض؟

لم ىفلح الءطبيع - ولن ىفلح - فى مد جسور من الءقة والأمان بىن من ىملكون طاقاء هائلة من أسلحة الءمار الشامل "200 قنبلة نووىة وفق ءقءىراء المراقبىن ومن لا ىملكون حتى قورء يومهم.

الإسرائىلىون ىعرفون ماذا ىرىءون، ىخططون له منذ مؤءمر بازل وربما قبله وىسعون إلیه بءأب ىءعم جحافلهم ءعم غربى وأمربكى لائىنى يؤكء ولاءه ومباركته للمشروع الصهىونى، والجءىء: ءعم عربى أيضاً .

فالهرولة على أشءها والعرب ىبءاحمون للءاق بأول الطابور، وىءساءلون عن سعىء الءظ صاءب " أول قطفة" من بستان الءب والءنان الءى سءغمر به إسرائيل المنطقه.

على أىة حال هنا مناقشه موضوعىة ءارىخىة مع الءكءور رءوف عباس أسءاذ الءارىخ بجامعه القاهرة والجامعه الأمريكىة حول الءور الإسرائىلى وأوسلو والءطبع والهرولة والشرق أوسطىة.

بءأنا من آءار أوسلو وإءءهنا إلى موقف صانع القرار المصرى قال:

- فى مءاولءنا للوصول إلى رؤىة خاصة لآءار أوسلو لاءب أن يؤكء على أن معاهءة أوسلو كانت آخر ما ءبقى من معاهءة السلام، بعء فشل ءنفيذ الجزء الءاص بالصفة الغربىة وءزة فى اءفاق كامب ءىفىء، وءجز إسرائيل عن وضع ءء للإءءفاضة، والمقاطعة العربىة لمنظمة الءحرىر الفلسطىنىة بسبب موقفها من الءزو العراقى للكوىء كل هذا جعل ظهر المنظمة للءانط، فإءضطراء إلى قبول صىغة أوسلو الءى مءلء الءء الأءنى الءى كان ىمكن أن ءقبل به منظمة الءحرىر الفلسطىنىة، وبالءالى للءءفىف من ءءة ءوابع زلزال أوسلو كانت المنظمة ءءوقع أن ءكون الرغىة جاءة فى ءنفيذ ما ءم الءوصل إلیه من إءفاق، على أساس أن ءءقىق هذا سىساعء على إءفاء شىء من المصءاقىة على المبءأ الءى أعلن وهو إقامة الوطن القومى على أى جزء ىمكن ءحرىره فى فلسطىن، لكن ما جرى بعء معاهءة أوسلو وضع المنظمة فى موقف ءرء جءداً وجعلها عاجزة عن ءىرىر الءطواء الءى إءءءتها ءجاه إسرائيل أمام الفصائل الفلسطىنىة الأخرى، كون أن ءماس لم ءكن طرفاً فى أوسلو، فهذا لم ىكن لىغىر من الأمر شىئاً وءماس الءى طرءء كبءىل للمنظمة قبل إن إسرائيل لعبء ءوراً فى ءشجىع ءواجءها فى مءاوله منها لءمىىع الإءءفاضة، وهناك فصائل أخرى ءاأل المنظمة وءارءها عارضء المعاهءة ولم ىكن لها ءور فى الإءفاق منذ البءاءىة، وأظن أن هذه ءغرة لعبء بها إسرائيل لءماطل فى ءنفيذ إءفاقاءها فى أوسلو فما كءشف عنه ىاسر عرفاء من ءسلىء إسرائيل والإءصلااء الءائرة بىن ءماس والىمىن الإسرائىلى والبىانااء الءى أصدرءها ءماس بعء الءءجىراء الأخرىة من أنها ءعطى فرصة للءفاوض مع الجناء السىاسى لءماس وكان عملىة طرح البءىل للمنظمة بءأء ومن ءم فإن ءءم جدىة إسرائيل فى ءنفيذ الإءفاق هو الءى أءى إلى وضع منظمة الءحرىر فى مأزق وفى وضع لا ءءسء علیه.

لكن حماس من جانبها مازالت تمارس تصعيداً ربما ترى المنظمة أنه يجرها لكنه بالتأكيد يأتي رداً على تعنت إسرائيلى واضح.

- أنا أربط بين نتيجة الإنتخابات الفلسطينية وهذا التطور، فتصعيد الموقف من جانب حماس هو محاولة لنسف أى إمكانية لتنفيذ حتى الحد الأدنى الذى تم الإتفاق عليه، وله صلة وثيقة بما أسفرت عنه نتيجة الإنتخابات التى بينت أن رأى العام الفلسطينى فى الأراضى المحتلة متمسك بالمنظمة، ومعنى هذا أن أمام حماس أحد خيارين، إما أن تتبنى ما توصلت إليه المنظمة، أو تنسف ماتم التوصل إليه.

لكن حماس كما تعلم فضلت مقاطعة الإنتخابات.

- لكن النتيجة لم تكن متوقعة سواء من جانب الإسرائيليين أو حماس نتيجة الإنتخابات كانت بمثابة تفويض لعرفات من سكان الأراضى المحتلة، ومن ثم كان لابد أن تهتز مصداقية هذا التفويض بالإعلان عن وجود بديل لا يمكن أن يقوم سلام دون أن يكون له رأى فيه.

هذا يقود إلى سؤال أكثر أهمية، هل إسرائيل جادة فعلاً فى الدخول فى تسوية تعلم أنها ستقود إلى قيام دولة فلسطينية.

- طبعاً لا، إسرائيل ليست جادة لكنها تحاول تحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب تستفيد من كل الفرص وتنفذ من كل الثغرات لهذا إذاً وضعنا فى إعتبارنا أن قيام حماس ليس بعيداً عن محاولات إسرائيل إيجاد بديل للمنظمة منذ البداية، يصبح السيناريو له ما يبرره.

كيف يمكن إذن لمنظمة التحرير أن تخفف من النتائج السلبية لما جرى.

- لو تركت المنظمة لإسرائيل فإنها لن تتمكن من تحقيق شئ، المواجهة تحتاج إلى موقف عربى موحد، لكن المشكلة أن أحداً لا يتبنى هذا الموقف، سوريمثالاً عنصر فاعل وبيدها صمام بعض أطراف المعارضة لكنها مغيبة، مصر دورها محكوم بعلاقتها مع أمريكا وىرواسب كامب ديفيد بل أحياناً تحاول مصر أن تبين أنها ملكية أكثر من الملك، إذن فترك ظهر الفلسطينين مكشوفاً يقضى تماماً على أى فرص لعرفات لندارك ما خلفته معاهدة أوسلو.

هل يصب مؤتمر شرم الشيخ فى هذا الإطار؟

- بالتأكيد نتائجه تشير إلى هذا فإسرائيل فى ممارستها تؤكد باستمرار أن سياستها على الأراضى المحتلة قائمة وأن السلطة الوطنية هى مجرد إدارة ذاتية وليست حكماً قنياً، ففى كل مناسبة تؤكد أن السيادة على الأراضى المحتلة إسرائيلية، إضافة إلى الدعم المادى والمعنوى الذى قدمه مؤتمر شرم الشيخ لإسرائيل التى تلتزم حمائمها وصقورها بالمشروع الصهيونى، إضافة إلى الدعم الذى قدمه للرئيس بيل كلينتون فى مواجهة مراكز النفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك الورطة التى سبقت إليها المنظمة بإعتقالها عدداً من نشيطى حماس، مما ترتب عليه شق فى الصف الفلسطينى.

وكيف تفسر عملية الهرولة والتسابق نحو الكعكة الإسرائيلية كما يتصورها البعض؟

- أعتقد أن جزءاً من هذه الهرولة مرده التشفى فى الفلسطينين أو تصفية الحسابات مع النخبة التى ربما أوجدت بعض المشاكل فى بعض البلدان إضافة إلى محاولات إثبات الولاء للسياسة الأمريكية بأن يكونوا أحياناً على يمين المواقف الأمريكية ذاتها بالإضافة إلى روابط "البيزنس" بين بعض تلك البلدان من ناحية والأمريكان والصهيونية العالمية من ناحية أخرى.

ثمة مسألة مهمة أخرى أن بعضاً من هذه البلدان فتحت أذانها لما يقال عن النظام الشرق أوسطى الجديد وإمكانية أن تلعب دوراً يتجاوز حجمها، ويقلص بالضرورة من الدور المصرى، حلمها أن تلعب دوراً إقليمياً كان تقليدياً محفوظاً لمصر.

ما دمنا نتحدث عن الشرق أوسطية، ما الذى يمكن أن توول إليه الأمور فى حالة مضى البعض فى الشوط إلى آخره؟

- كمؤرخ أقول إن جذور هذا المشروع تعود إلى عام 1943. وقتها كان الأمريكان يتحسون الموقف حتى يهيئوا أنفسهم لوراثة بريطانيا، فى هذا الوقت تقدم تلميذ لـ"وايزمان" بمشروع يقول فيه إن فلسطين بها الخبرات التكنولوجية وإمكانيات لعمل قاعدة صناعية وزراعية ضخمة جداً، تخدم على الشرق الأوسط من أفغانستان وإيران

إلى غرب أفريقيا ومروراً بمصر والسودان، وأن بعض الدول مثل مصر بإمكانها تقديم عمالة مدربة في هذا الإطار وقدم إحصائيات كاملة بالموارد الطبيعية زراعياً وصناعياً .

إن إقامة سوق شرق أوسطية تحتل فيها إسرائيل مكان القلب كان جزءاً لا يتجزأ من المشروع الصهيوني كله، وقتها نظر الأمريكان للمشروع بأنه يحتاج أن تحل أولاً مشكلة فلسطين، مما يدفع دول المنطقة للدخول فيه كشريك. وستلاحظ دائماً أن المشروعات التي تخطط لها الصهيونية تظل في البال، إنتظاراً للحظة مناسبة تتحول فيها هذه المشروعات من ورق في ملفات إلى شئ منفذ على أرض الواقع.

والتحالف الإستراتيجي الأمريكي الإسرائيلي يكمل الصورة.

● بالضبط، لأنه إذا كانت معاهدات سلام توقع، والدول جميعها في المنطقة تحت النفوذ الأمريكي، فلن يوجه هذا التحالف تهديداته.

أنا أشعر أن صانع القرار المصري يدرك هذا، لأنه بدأ يتحدث عن سوق عربية، لكن المشكلة أن دولاً عربية عدة ترفض السوق العربية لأنها ترفض زعامة مصر في إطار هذا السوق.

إزاء ذلك كله، ما الذي يمكن أن يفعله صانع القرار المصري ؟

● صانع القرار المصري لابد أن يفكر أولاً في المصلحة المصرية، ثم المصلحة العربية التي يغفل عنها في موقف الأطراف العربية ذاتها.